

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبیب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، سيما خليفة الله في الأرضين، واللجنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٢٨)

### لوك: المعرفة تنحصر في إدراك التوافق والتنافر بين أفكارنا

لقد ذهب لوك في فلسفته المعرفية إلى تحجيم المعرفة وضغط حدودها بشكل غير طبيعي.

فقد ذهب إلى ("المعرفة فيما يبدو ليست إلا إدراك الارتباط والتوافق أو الاختلاف والتنافر بين أفكارنا، وفي هذا وحده تقوم المعرفة، وحيث يكون هذا الإدراك، تكون المعرفة وحيث لا يكون الإدراك... لا تكون المعرفة. فحين نعرف أن الأسود ليس أبيض لا ندرك شيئاً أكثر من أن هاتين الفكرتين (فكرتي الأسود والأبيض) لا تتوافقان. وحين نعرف... أن الزوايا الثلاث لمثلث تساوي زاويتين قائمتين، لا ندرك شيئاً أكثر من أن المساواة لزاويتين قائمتين تتفق بالضرورة مع ولا تنفصل عن الزوايا الثلاث للمثلث<sup>(١)</sup>)<sup>(٢)</sup>

### المناقشات:

ولكن هذا الرأي يعاني من الثغرات والإشكالات التالية:

### إدراك نوع الارتباط إضافة إلى إدراك أصله

١- ان العقل يدرك إضافة إلى أصل الارتباط والتوافق أو الاختلاف والتنافر بين أفكارنا، يدرك أيضاً نوع الارتباط أو الاختلاف؛ لذا نجد يدرك ان ارتباط زيد بعمرو في نوعيته هو ارتباط صداقة أو ارتباط قرابة أو ارتباط زمالة عمل كما يدرك مثلاً ارتباط هذه المرأة أو تلك به برباط الزوجية أو برباط الأمومة أو رباط الصداقة فقط، كما يدرك ان ارتباط زيد بهذا الشيء هو ارتباط (الملكية) أو هو ارتباط (حق الاختصاص) أو غير ذلك، كما يدرك ان الارتباط هو مجرد ارتباط التعاقب أو ارتباط العلية أو يرفض ذلك.

### إدراك وجود الله، وليس علاقة بين فكرتين

٢- اننا ندرك وجود الله تعالى، وقد اعترف لوك بانه ليس إدراكاً لعلاقة بين فكرتين قال ( "د" الوجود الحقيقي Real Existence والنوع الأخير من التوافق أو عدم التوافق بين الأفكار هو "الوجود الحقيقي" مثل "الله موجود" وهذا يختلف عن الأنواع الثلاثة المتقدمة في أنه لا يعبر عن علاقة بين فكرتين. فإذا قلنا "الله موجود" فإن القضية لا تعبر عن علاقة بين فكرة الله وفكرة الوجود، ذلك لأن الوجود ليس صفة يمكن أن تحمل على موضوع)<sup>(٣)</sup>.

وعلى أية حال فيبدو انه استثناء من قاعدته العامة، وعليه: فكان عليه ان يستثني إدراكنا لوجود أنفسنا بل وإدراكنا لوجود أي شيء آخر؛ لنفس دليله الذي استدل به (فإذا قلنا الله موجود...) فنقول: وكذلك (إذا قلنا الجدار موجود فان القضية لا تعبر عن علاقة بين فكرة الجدار وفكرة الوجود ذلك لأن الوجود ليس صفة يمكن ان تحمل على موضوع).

على انه يرد عليه النقص فيما لو قلنا (الله خالق) والخالقية من صفات الفعل بل و(الله عالم) والعلم من صفات الذات فانهما فكرتان. نعم الحق ان صفاته تعالى عين ذاته.

### إدراك أفكار الاحساس، وليست علاقة بين فكرتين

(١) Essay, IV, ١, ٢, p. ٢٢٥٠.

(٢) الفلسفة الحديثة ص ١٧١.

(٣) الفلسفة الحديثة ص ١٧٢.

٣- بل وينقض كلامه هذا، بأفكار الاحساس البسيطة التي اعترف بها (فأما الافكار البسيطة فهي الأفكار التي تدخل العقل عن طريق الحواس بصورة "بسيطة وغير ممتزجة مع غيرها، فهي الأفكار التي تقدمها إلينا الحواس. والتي لا يمكن تحليلها إلى أفكار مختلفة"<sup>(١)</sup>). مثل البرودة والصلابة في قطعة الجليد والبياض في الزئبق، ورائحة زهرة وطعم السكر. والأفكار البسيطة هي المواد الأولية للمعرفة كلها وتأتي إلى العقل عن طريق الإحساس والتأمل)<sup>(٢)</sup>

ولذا نجد انه يعود فيثالث الأقسام بعد ان وحدها فيقسمها إلى المعرفة الحدسية والمعرفية البرهانية والمعرفة الحسية، قال:  
(وتنقسم المعرفة من هذه الناحية إلى أنواع ثلاثة:

أ- المعرفة الحدسية Intuitive Knowledge وهي المعرفة التي يحصل عليها العقل نتيجة إدراكه ما بين الأفكار من توافق أو عدم توافق مباشرة وبدون تدخل أية فكرة<sup>(٣)</sup>. وفي هذه الحالة يدرك العقل صدق المعرفة مباشرة كما يدرك البصر الضوء. وعلى هذا النحو يعرف العقل أن الأبيض ليس أسود، وأن الدائرة ليست مثلثاً وثلاثة أكثر من اثنين، وتساوي واحداً واثنين)<sup>(٤)</sup>

وقال (ب) - المعرفة البرهانية Demonstrative Knowledge وهي المعرفة التي يحصل عليها العقل حين يدرك ما بين فكرتين من توافق أو عدم توافق لا بصورة مباشرة بل بتوسط أفكار أخرى. فحين يتعسر على العقل مقارنة فكرتين بسبب تباعدهما فإنه يستعين بأفكار أخرى تساعده على اكتشاف ما بينهما من توافق أو عدم توافق وهذا ما ندعوه بالاستدلال<sup>(٥)</sup> Reasoning. فمثلاً إذا أراد العقل أن يعرف المساواة أو عدم المساواة بين زوايا مثلث وبين زاويتين قائمتين فإنه لا يستطيع مقارنة هاتين الفكرتين مباشرة، فلا يستطيع أن يحصل على معرفة حسية عن العلاقة بينهما... ولذلك يستعين بزوايا أخرى مساوية لزاويتين قائمتين من جهة ولزوايا المثلث من جهة أخرى، وبذلك يعرف أن زوايا المثلث تساوي زاويتين قائمتين)<sup>(٦)</sup>

وقال (ج) - المعرفة الحسية Sensitive Knowledge وهي المعرفة التي يحصل عليها العقل عن الأشياء الجزئية في الخارج. يقول لوك "إن الفكرة التي تأتينا من جسم خارجي موجودة في عقولنا بصورة أكيدة وتؤلف معرفة حدسية"<sup>(٧)</sup>. أما إن كان هناك شيء أكثر من تلك الفكرة في عقولنا، أو إن كان في مستطاعنا أن نستنتج وجود أي شيء خارجنا يناظر تلك الفكرة، فموضع تساؤل عند بعض الناس، لأنه قد يحصل الناس على مثل هذه الأفكار في عقولهم دون أن يكون هناك شيء ودون أن يؤثر شيء كهذا في حواسهم"<sup>(٨)</sup>

وبعبارة أخرى ان كلامه هذا (المعرفة فيما يبدو ليست إلا ادراك الارتباط والتوافق أو الاختلاف والتناظر بين أفكارنا) يناقض موقفه الآخر ("إننا نجد اختلافاً بيناً بين الفكرة التي تنبعث في عقولنا بواسطة الذاكرة والفكرة التي تأتي إلى عقولنا بالفعل بواسطة الحواس، على نحو ما نجد اختلافاً بين فكرتين متميزتين.."<sup>(٩)</sup> وإن زعم امرؤ أن كل الأفكار تنشأ في العقل بدون الأجسام الخارجية فلا اختلاف بين الأفكار التي تأتي - فيما يرى البعض - إلى العقل بواسطة الحواس والأفكار التي تتولد في العقل بواسطة الذاكرة، فإنه ينبغي أن لا

(١) Ibid. P. ١١٦.

(٢) الفلسفة الحديثة ص ١٥٨.

(٣) Essay, IV, ٢٠١, P, ٢٢٨.

(٤) الفلسفة الحديثة ص ١٧٢.

(٥) Essay, IV, ٢, ١, p. ٢٣٠.

(٦) الفلسفة الحديثة ص ١٧٣.

(٧) الظاهر انها خطأ مطبعي، والصحيح هو (حسية).

(٨) Ibid. p. ٢٣١.

(٩) Ibid. p. ٢٣٢.

يعتقد بوجود اختلاف بين أن يكون في النار بالفعل وبين أن يكون في النار في الحلم. عليه يضيف لوك هذا النوع من المعرفة عن وجود الأجسام الخارجية إلى النوعين الآخرين. فهناك إذن درجات ثلاث من المعرفة: الحدسية والبرهانية والحسية، ولكل منها درجات مختلفة من اليقين والوضوح<sup>(١)</sup>

والتناقض بين الكلامين واضح فان الإدعان بحقانية الفكرة التي تأتي إلى عقولنا بواسطة الحواس ليس من مفردات (إدراك الارتباط والتوافق أو الاختلاف والتنافر بين أفكارنا) بوضوح بل انها إدراك التوافق بين فكرتنا وبين ما جاءت به الحواس إلينا وبين الواقع الخارجي. فتدبر جيداً

### إدراك التنافر والتوافق أو صانعية العقل

٤- ان مدعاة هذا<sup>(٢)</sup> ينقضه - كما أوضحناه سابقاً - ما ذهب إليه من صنع العقل لبعض الأفكار قال (ثانياً: ان أفكارنا المركبة - ما عدا أفكارنا عن الجواهر - أي الأحوال والعلاقات تطابق موضوعاتها، لأنها نماذج من صنع العقل ذاته ولم يكن القصد منها أن تكون نسخاً لأشياء، ولا أن تشير إلى أشياء تعتبر أصولها، ولذلك فلا تفتقر إلى المطابقة الضرورية للمعرفة الحقيقية، فإن ما لم يقصد به أن يمثل شيئاً عدا ذاته، لا يمكن أن يطابق شيئاً آخر، بل ولا يمكن أن يضللنا إلى فهم حقيقي لأي شيء بسبب ما بينهما من اختلاف<sup>(٣)</sup>. ولذلك فهي حقيقية.

وكل أفكارنا عن الحقائق الرياضية والأخلاقية هي من هذا النوع. ففكرتنا عن الحقيقة الرياضية أن زوايا المثلث الداخلية تساوي قائمتين حقيقية تطابق النموذج الموجود عن المثلث في العقل رغم أنها قد لا تشير إلى أي مثلث في الواقع<sup>(٤)</sup>.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

(١) الفلسفة الحديثة ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) إذ قال (المعرفة فيما يبدو ليست إلا إدراك الارتباط والتوافق...)

(٣) Ibid.IV. ٤. ٤.,p.٢٥٤.

(٤) الفلسفة الحديثة: ص ١٧٩.